[268] طرف الازل أيضا، فعلى الثاني فالاشياء لحدوثها لابد لها من صانع يتقدمها ضرورة فهذا معنى قوله: (فقد كان ولا شئ منهما) أي كان الصانع قبل وجود شئ منهما، ثم أخذ صلى ا عليه وآله في إبطال الشق الاول بأنكم إنما حكمتم بقدمها لئلا تحتاج إلى صانع، والعقل السليم يحكم بأن القديم الذي لا يحتاج إلى صانع لابد أن يكون مباينا في الصفات والحالات للحادث الذي يحتاج إلى الصانع، مع أن ما حكمتم بقدمه لم يتميز عن الحادث في شئ من التغيرات والصفات والحالات، أو المعنى أن ما يوجب الحكم في الحادث بكونه محتاجا إلى الصانع من التركب واعتوار الصفات المتضادة عليه و كونها في معرض الانحلال والزوال كلها موجودة فيما حكمتم بقدمه وعدم احتياجه إلى الصانع، فيجب أن يكون هذا أيضا حادثا مصنوعا. الثاني: أن يكون قوله: (أتقولون) إلى قوله: (قال لهم أقلتم) برهانا واحدا بأن يكون قوله: (فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لاوله) إبطالا للشق الاول بالاحالة على الدلائل التي اقيمت على إبطال الامور الغير المتناهية المترتبة، بناء على عدم اشتراط وجودها معا في إجرائها كما زعمه أكثر المتكلمين، ويكون بعد ذلك دليلا واحدا كما مر سياقه، ويمكن أن يقرر ما قبله أيضا برهانا ثالثا على إثبات الصانع بأن يكون المراد بقوله صلى ا عليه وآله: (حكمتم بحدوث ما تقدم من ليل ونهار) لبيان أن حكمهم بحدوث كل ليل ونهار يكفي لاحتياجها إلى الصانع ولا ينفعكم قدم طبيعة الزمان، فإن كل ليل وكل نهار لحدوثه بشخصه يكفي لاثبات ذلك. قوله صلى ا عليه وآله: (وكيف اختلط هذا النور والظلمة) إشارة إلى ما ذكره المانوية من الثنوية وهو أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنهما أبديان لم يزلا ولا يزالان، ثم اختلفوا في المزاج وسببه فقال بعضهم: كان ذلك بالخبط والاتفاق، وقال بعضهم وجوها ركيكة اخرى، وقالوا: جميع أجزاء النور أبدا في الصعود والارتفاع، وأجزاء الظلمة أبدا في النزول والتسفل، فرد النبي صلى ا عليه وآله عليهم بأنكم إذا اعترفتم بأن النور يقتضي بطبعه الصعود والظلمة تقتضي بطبعها النزول ولا تعترفون بصانع يقسرهما على الاجتماع والامتزاج فمن أين جاء امتزاجهما واختلاطهما

_____